الفصل الثاني: المهدي بن عبد الله

لا يخفى على كل ذي عقل - فضلاً عن كل ذي دين سليم - أن المهدي التي تقول به فرق الشيعة غير موجود في الواقع، بل إنه لم يولد في التاريخ. وقد ذاقت الأمة ويلات كثيرة بسبب ذلك الاعتقاد الخرافي في المهدي عند الشيعة. بل إنهم جعلوا الإيمان بالأئمة الذين اخترعوهم لأنفسهم ركناً لا يتجزّأ من إيمانهم بدينهم وما تمليه عليهم أساطيرهم، والتي هي أشبه بأساطير اليونان والفرس وغيرهم من أمم الجاهلية.

وأما المهدي عند أهل السُّنَّة فهو رجل تلده النساء وتربيه الرجال ويعيش حياته بين الناس، لا في الكهوف - كما تدّعي الشيعة في مهديهم ولا يعرفون متى يخرج، وأبشرهم أنه لن يفعل، وإنّما هو إمام وخليفة من خلفاء المسلمين الذين يقومون بالقسط بين الناس. والذي يميّز محمد بن عبد الله المهدي عن غيره من الخلفاء المهديين هو التقاؤه مع عيسى ابن مريم ﷺ، وأن نبي الله عيسى يصلي خلفه، وأن الله يصلحه في ليلة، وأنه يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه على يديه يكون الفتح الثاني للقسطنطينية وربما رومية... إلخ.

خلافة على منهاج النبوة:

ذكر رسول الله ﷺ الخلافة التي هي على منهاج النبوة في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والطيالسي عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«تكونُ النُّبُوَّةُ فيكُم ما شاءَ اللَّهُ أنْ تَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللَّهُ إذا شاء أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكونُ خِلافَةً عَلى مِنهاجِ النُّبوَّةِ، فَتَكونُ ما شاءَ اللّهُ أنْ يَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللّهُ إذا شاء أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكونُ مُلْكاً عاضّاً، فَتَكونُ ما شاءَ اللّهُ أنْ تَكونَ، ثُمَّ تَكونُ مُلْكاً جَبْرِيّاً، فَتَكونُ ما شاءَ اللّهُ أن تَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها إذا شاءَ أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكونُ خِلافَةً على مِنهاجِ النُّبوَّةِ»**، ثُمَّ سَكَتَ[1].

إنَّ سبب إيراد الحديث السابق هنا هو أن محمد بن عبد الله المهدي هو أحد خلفاء مرحلة الخلافة الثانية والتي هي على منهاج النبوة. وقد قسّم رسول الله ﷺ تاريخ هذه الأمّة إلى المراحل التالية:

1 - مرحلة حكم النبوة: وكانت في حياته ﷺ.

---

(1) الصحيحة (5/1).

2 - مرحلة الخلافة على منهاج النبوة: وهي حكم الخلفاء الراشدين، وكانت من بداية استخلاف أبي بكر رضوان الله عليه وحتى مقتل علي بن أبي طالب ﷺ، ومن العلماء من أدخل فترة إمارة الحسن بن علي ﷺ سبط رسول الله ﷺ فيها. فهذه ثلاثون سنة كما نصّ بذلك الحديث الصحيح بأن الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً.

3 - مرحلة الملك العاضّ أو العضوض: وهو الحكم الذي فيه ظلم، وإن تفاوتت نسبة الظلم من حكم لآخر: وهي مرحلة ما بعد إمارة الحسن بن علي ﷺ، ويدخل فيه حكم بني أمية وبني العباس والمماليك والعثمانيين الأتراك وغيرهم، وحتى سقوط السلطنة العثمانية في مطلع القرن العشرين الميلادي. وهذا الحكم يشمل كل الدول التي تعاقبت على العالم الإسلامي بكافة مراحل تاريخة خلال هذه الفترة، ويُستثنى من ذلك حكم من كانت خلافته مشابهة للخلفاء الراشدين كخلافة عبد الله بن الزبير وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما، فَهُما قد عُدَّا من الخلفاء الذين هم من قريش والذين يلوْن أمر هذه الأمة.

4 - مرحلة الحكم الجبري: والتي بدأت منذ سقوط الدولة العثمانية إلى عصرنا الحاضر، فنسأل الله تعالى أن ينهيها قريباً بمَنّه وفضله.

والحكم الجبري هذا يحوي كل أنظمة الحكم التي قامت في العالم الإسلامي، سواء أكانت حكماً ملكياً أو وراثياً أو حِزبياً أو حكم الكفار للمسلمين، كما حصل عقيب الحرب العالمية الأولى، أو جمهورياً أو ديموقراطياً أو غيرها من أنواع الحكم التي تنازع الله ﷻ أحقية الحاكمية والتشريع.

وعندما ذكر رسول الله ﷺ تلك المراحل التي ستمرّ بها الأمة، ربَطها بنوع الحكم الذي يحكمها، أفيه ظلم أم هو على منهاج النبوة، أم هو مما تُجبَر الأمة على قبوله، كما هو حالنا اليوم.

5 - مرحلة الخلافة على منهاج النبوة: وهي مرحلة لابد لها من عمل وتحضير وتضحية في سبيل الله تعالى، ونشر العلم واتباع للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها. وسيكون الدين في بدايتها غريباً، غربته يوم بدأ في مكة بين أسيادها وعبيدها، بين قويّها وضعيفها، وبين نسائها

وصغارها. ومصدر هذه المرحلة هم غرباء هذا الدين في هذا الزمان، الذين يحملونه عن وعي وإدراك وفهم وتطبيق، ويتحملون في سبيله أشد المصائب والابتلاءات ثابتين على وصية رسول الله ﷺ عندما قالَ: **«فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيين، عَضّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ، وإيّاكُم وَمُحْدَثاتِ الأُمورِ، فَإنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النّار»** (1).

وهؤلاء الغرباء هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنته ﷺ من بعده، وهم الذين يقاتلون في سبيل الله، ظاهرين على عدوهم وعلى من خالفهم ومن خذلهم، لا يضرهم ذلك حتى يأتيَ أمر الله وهم كذلك، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يثبتنا على طريق نبيه الكريم ﷺ ومنهج صحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المهدي ودلائل مهديَّته:

إنّ أحاديث المهدي في كتب السنة منها ما هو ضعيف - مع شهرته بين الناس، ومنها ما هو حسن وصحيح، وتعويلنا في هذا البحث إنما هو على الصحيح منها والحسن، كما بيّنه علماء الحديث الشريف.

روى أبو داود وابن ماجة والحاكم عن أمُّ سلمة رضي الله عنها بسند صحيح عن رسول الله ﷺ قال: **«المَهْدي مِنْ عِتْرَتي مِن وَلَدِ فاطِمَةَ»** (2).

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إلاّ يَومٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ حَتّى يُبْعَثَ فيهِ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتي، يُواطِئُ اسْمُهُ اسمي، واسمُ أبيهِ اسمَ أبي، يَمْلأُ الأرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»** (3).

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إلاّ يَومٌ لَبَعَثَ اللّهُ رَجُلاً مِنْ أهْلِ بَيْتي، يَمْلَؤها عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً»** (4).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لا تذْهَبُ الدُّنيا ولا تَنْقَضي حَتّى**

(1) صحيح الجامع (2549).
(2) صحيح أبي داود (3603).
(3) صحيح أبي داود (3601).
(4) رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح (3602).

يَمْلِكَ رَجُلٌ مِن أهلِ بَيْتِي يُواطِئُ اسمُهُ اسمي» [1].

إذن، المهدي من آل بيت رسول الله ﷺ، واسمه محمد بن عبد الله، ولا يُعرف ما إذا سَيكون من نسل الحسن بن علي أم الحسين بن علي، فالروايات في ذلك لا تصح، وإن كان ابن تيمية - رحمه الله - قد رَجَّحَ أنه من نسل الحسن معتمداً في ذلك على أثر مروي عن عليٍّ رضي الله عنه، وقد ضعّفه محقق مشكاة المصابيح العلامة الألباني[2].

صفته الخَلْقية ومدّة حكمه:

وأما صفته الخَلْقية، فقد بيَّنها رسولُ اللهِ ﷺ في حديثه الآتي: عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«المَهْدي مِنّي، أجْلى الجَبْهَةِ[3]، أَقْنى الأَنْفِ[4]، يَمْلأُ الأرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنين»** [5].

وأمّا مدَّة حكمه فقد بيّنها الحديث السابق. وفي الحديث الآخر: **«لَتُمْلأَنَّ الأرضُ جَوْراً وظُلْماً، فإذا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً يَبْعَثُ اللّهُ رَجُلاً مِنّي اسمُهُ اسمي، واسمُ أبيهِ اسمُ أبي، فَيَمْلَؤها عَدْلاً وقِسْطاً، يَمْكُثُ فيكُم سَبْعاً أو ثَمانيَاً، فَإنْ أكْثَر فَتِسْعاً»** [6].

وهو الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، ففي الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«كَيْفَ أَنْتُم إذا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فيكُمْ وإمامُكُم مِنْكُمْ»** [7].

وقال ﷺ : **«مِنَّا الّذي يُصَلِّي خَلْفَهُ عيسى ابنُ مَرْيَم»** [8].

وقد روى الإمام مسلم في الصحيح عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي يُقاتِلونَ عَلى الحَقِّ ظاهِرينَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ. قالَ: فَيَنْزِلُ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقولُ أميرُهُمْ: تَعالَ صَلِّ لَنا. فَيَقولُ: لا، إنَّ بَعضَكُم على بَعضٍ أُمَراء**

(1) صحيح الجامع (7275).
(2) انظر المشكاة (5462).
(3) أجلى الجبهة: أي واسعها.
(4) القنا في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه.
(5) أبو داود والحاكم بسند حسن، المشكاة (5454).
(6) صحيح الجامع (5073).
(7) مختصر صحيح مسلم (2060).
(8) أبو نعيم عن أبي سعيد بسند صحيح.

تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذهِ الأُمَّةِ» [1].

والمهدي هو المقصود - والله أعلم - في حديثه ﷺ : «يَكونُ في آخِرِ أُمَّتي خَليفةٌ يَحْثي المالَ حَثْياً، ولا يَعُدُّهُ عَدّاً». وهو قطعة من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وفي رواية قال ﷺ : «مِنْ خُلَفائِكُم خَليفَةٌ يَحْثو المالَ حَثْيَاً ولا يَعُدُّهُ عَدّاً» [2].

وهذا إنْ دلّ على شيءٍ فَإنَّما يَدُلُّ على كَثْرَةِ الغَنائِمِ والفُتوحاتِ في زمانهِ وكَثْرَةِ المَلاحِمِ بَيْنَ المسلمينَ وأعْدائِهم[3].

بداية ظهور المهدي:

وأما بداية ظهوره فيكون بتهيئته لقيادة الأمة وصلاحه لها. يقول ﷺ : «المَهْدي مِنَّا أهْلَ البَيْتِ يُصْلِحُهُ اللّه في لَيْلَةٍ» [4]. أي أن الله تعالى يصلحه لقيادة أمة الإسلام، والله أعلم.

وقد وصفه رسول الله ﷺ بالصلاح عندما قال: «وإمامهم رجلٌ صالِحٌ...» الحديث، وسيأتي.

ثم ينكشف أمر المهدي عند حكّام ذلك الزمان، فيهرب إلى مكّة مع بعض الناس ليحتمي بالبيت، وليس معهم عدة ولا عدد ولا منعة، ويُبعَث خلفه جيش لقتله والتخلص منه، والدليل هو ما رواه الإمام مسلم في الصحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ : «يَعوذُ عائِذٌ بالبَيْتِ فَيُبْعَثُ إلَيهِ بَعْثٌ، فإذا كانوا بِبَيْداءَ مِنَ الأرْضِ خُسِفَ بِهِم. فَقُلتُ: يا رسولَ اللّهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كانَ كارِهاً؟ قالَ: يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُم، ولَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى نِيَّتِهِ» [5].

وروى مسلم أيضاً عن عبد الله بن صفوان قال: أخبرتني حفصة رضي الله عنها أنها سمعتِ النبيَّ ﷺ يقول: «لَيَؤُمَّنَّ هذا البَيْتَ جَيشٌ يَغزونَهُ، حَتّى إذا كانوا بِبَيْداءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِم، ويُنادي أَوَّلُهُم آخِرَهُم ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِم، فَلا يَبْقى إلاّ الشَّريدُ

(1) مختصر صحيح مسلم (2061).
(2) شرح النووي لصحيح مسلم (38/18).
(3) وانظر صحيح ابن ماجة، الحديث رقم (3299).
(4) أحمد وابن ماجة، صحيح ابن ماجة (3300).
(5) شرح النووي لصحيح مسلم (5/18 - 6).

الَّذي يُخْبِرُ عَــنْهُم» [1]. وفي رواية عن يوسف بن ماهك قال: أخبرني عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: **«سَيَعوذُ بِهَذا البَيْتِ – يعني الكعبة – قَومٌ لَيسَ لَهُم مَنَعةٌ ولا عَدَدٌ ولا عُدّةٌ، يُبْعَثُ إلَيْهِم جَيشٌ حَتّى إذا كــانوا بِبَيْــداءَ مِــنَ الأرْضِ خُسِفَ بِهِــم»**. قال يوسف: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة، فقال عبد الله بن صفوان: أما والله ما هو بهذا الجيش[2].

ويروي مسلم عن عبد الله بن الزبير ﷺ أن عائشة رضي الله عنها قالت: عَبَثَ رسولُ اللّهِ ﷺ في مَنامِهِ، فَقُلْنا: يا رسولَ اللّهِ صَنَعْتَ شَيْئاً في مَنامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ. فَقال: **«العَجَبُ أنّ ناساً مِنْ أُمَّتي يَؤُمُّونَ بالبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بالبَيْتِ حَتّى إذا كــانوا بِبَيْداءَ خُسِفَ بِهِم»**. فَقُلنا: يا رَسولَ اللّهِ، إنَّ الطَّريقَ قد يَجْمَعُ النّاسَ. قال: **«نَعَم، فيهِمُ المُسْتَبْصِرُ والمَجْبورُ وَابْنُ السَّبيلِ، يَهْلِكونَ مَهْلَكاً واحِداً ويَصْدُرونَ مَصادِرَ شَتّى، يَبْعَثُهُمُ اللّهُ عَلى نِيّاتِهِم»** [3].

فهذا جيش يُبعَث في إثر المهدي للتخلص منه وممن معه من المؤمنين، فيلجأون إلى البيت الحرام محتمين به، ويخسَف بهذا الجيش ببيداء من الأرض، وهي بيداء المدينة، وهي الشرف الذي قدّام ذي الحليفة، أي من جهة مكّة، وهي أرض ملساء.

وروى أحمد والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي يُخْسَفُ بِهِم، يُبْعَثونَ إلى رَجُلٍ فَيَأتي مَكّةَ، فَيَمْنَعُهُ اللّهُ مِنْهُمْ ويُخْسَفُ بِهِم، مَصْــرَعُهُم واحِدٌ ومَصادِرُهُم شَتّى. إنَّ مِنْهُم مَنْ يَكْرَهُ فَيَجيءُ مُكْرَهاً»** [4].

وعن امرأة القَعقاع بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنهما قالت: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ على المِنبر يقول: **«يا هَؤلاءِ! إذا سَمِعْتُم بِجَيْشٍ قد خُسِفَ بِهِ قَريباً فَقَــد أَظَلَّــتِ السّاعَةُ»**[5].

ويُبايَعُ المهدي خليفة للمسلمين بعد ذلك ويجاهد مع المسلمين في سبيل الله تعالى،

---

(1) نفسه.
(2) نفسه.
(3) شرح النووي لصحيح مسلم (16/18 - 17).
(4) الصحيحة (1924/4).
(5) رواه أحمد والحميدي، الصحيحة (1355/3).

وتكون خلافة على منهاج النبوّة، وتكون الملاحم بين المسلمين وأعدائهم إلى أن ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام.

قتال الروم وفتح القسطنطينية:

وفي زمن المهدي يكون الفتح الثاني للقسطنطينية (إستانبول)، وذلك قبل خروج الدَّجَّال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن يُسَيْر بن جابر قال: هاجَتْ ريحٌ حمراءُ بالكوفة فجاء رجل ليس لـه هِجِّيرى[1]: إلاَّ يا عبدَ اللهِ بنَ مسعود، جاءتِ الساعةُ. قال: فَقَعَدَ وكان مُتَّكِئاً فَقال: **«إنَّ السّاعَةَ لا تَقومُ حَتَّى لا يُقْسَمَ ميراثٌ ولا يُفْرَحَ بغَنيمةٍ. ثمّ قال بيده هكذا – ونحّاها نحو الشام . فقال: عَدُوٌّ يَجْمَعونَ لأَهْلِ الإسْلامِ. قُلتُ: الرُّومَ تَعْني؟ قالَ: نَعَم، وتَكونُ عِندَ ذاكُمُ القِتالِ رَدَّةٌ[2] شَديدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ المُسلِمونَ شُرْطَةً[3] لِلمَوتِ لا تَرجِعُ إلاّ غالِبَةً، فَيَقتَتِلونَ حَتّى يَحْجُزَ بَينَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفيءُ هَؤلاء وهَؤلاء كُلٌّ غَيرُ غالِبٍ وتَفْنى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ المُسلِمونَ شُرْطَةً لِلمَوتِ لا تَرجِعُ إلاَّ غالِبَةً، فَيَقتَتِلونَ حَتّى يَحْجُزَ بَينَهُمُ اللّيلُ، فَيَفيءُ هَؤلاء وهَؤلاء كُلٌّ غَيرُ غالِبٍ وتَفْنى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشتَرِطُ المُسلِمونَ شُرْطَةً لِلمَوتِ لا تَرجِعُ إلاَّ غالِبَةً، فَيَقتَتِلونَ حَتّى يُمْسُوا، فَيَفيءُ هَؤلاء وهَؤلاء كُلٌّ غَيرُ غالِبٍ وتَفْنى الشُّرْطَةُ، فَإذا كانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ[4] إلَيْهِم بَقِيَّةُ أهْلِ الإسْلامِ فَيَجْعَلُ اللّهُ الدَّبَرَةَ عَلَيْهِم، فَيَقْتُلونَ مَقْتَلَةً – إمّا قالَ: لا يُرى مِثلها، وإمّا قال: لَم يُرَ مِثْلُها – حَتَّى إنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بجَنَباتِهِم فَما يُخَلِّفُهُم حَتّى يَخِرَّ مَيِّتاً. فَيَتَعادُّ بَنو الأَب كانوا مِائَةً فلا يَجدونَهُ بَقِيَ مِنْهُم إلاّ الرَّجُلُ الواحِدُ، فَبأَيِّ غَنيمَةٍ يُفْرَحُ أو أيِّ مِيراثٍ يُقاسَمُ. فَبَينَما هُم كَذَلِكَ إذْ سَمِعوا بِبَأسٍ هُوَ أكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجاءَهُمُ الصَّريخُ: إنَّ الدَّجَّالَ قَد خَلَفَهُمْ في ذَراريِّهِم، فَيَرْفُضُونَ ما في أيْديهِم ويُقْبِلونَ، فَيَبْعَثونَ عَشَرَةَ فَوارِسَ طَليعَةً. قال رسولُ اللهِ ﷺ: إنّي لأَعْرِفُ أسْماءَهُم وأسْماءَ آبائِهِم وألوانَ خُيولِهِم، هُم خَيرُ فَوارِسَ عَلى ظَهرِ الأرْضِ يَوْمَئِذٍ، أو مِنْ خَيرِ فوارِسَ**

(1) شأن.
(2) صولة.
(3) الشرطة: طائفة من الجيش تقدم للقتال.
(4) نهض.

على ظَهرِ الأرضِ يَوْمَئِذٍ» [1].

روى الإمام مسلم في الصحيح أيضاً عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تَقومُ السّاعةُ حَتّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعْماق أوْ بدابق، فَيَخْرُجُ إلَيْهِم جَيْشٌ مِنَ المَدينَةِ مِنْ خِيارِ أهْلِ الأرْضِ يَوْمَئِذٍ، فإذا تَصافُّوا قالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنا وَبَيْنَ الَّذينَ سَبَوْا[2] مِنَّا نُقاتِلْهُم. فَيَقولُ المُسْلِمونَ: لا وَاللَّهِ، لا نُخَلِّي بَيْنَكُم وَبَيْنَ إخْواننا. فَيُقاتِلونَهُم فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتوبُ اللَّهُ عَلَيْهِم أَبَداً، ويُقْتَلُ ثُلُثُهُم أفضَلُ الشُّهَداءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنونَ أَبداً، فَيَفْتَتِحونَ القُسْطَنطينيَّةَ. فَبَيْنَما هُمْ يَقْتَسمونَ الغَنائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيوفَهُم بالزَّيْتونِ إذْ صاحَ فيهِمُ الشَيْطانُ: إنَّ المَسيحَ قَدْ خَلَفَكُم في أهْليكُم. فَيَخْرُجونَ، وذَلِكَ باطِلٌ، فَإذا جاؤوا الشَّامَ خَرَجَ. فَبَيْنَما هُم يُعِدُّونَ لِلْقِتالِ، يُسَوُّونَ الصُّفوفَ، إذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَيَنْزِلُ عيسى ابنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُم، فَإذا رَآهُ عَدوُّ اللّهِ ذابَ كَما يَذوبُ المِلْحُ في الماءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذابَ حَتّى يَهْلِكَ، ولَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُريهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ» [3].

في الحديث السابق اختصار في قوله ﷺ: «فينزل عيسى ابن مريم فأمَّهم» فتقديره كما جاء من كلام أبي هريرة ﷺ في صحيح مسلم، قال: «فأمَّكُم بِكِتابِ رَبِّكُم وَسُنَّةِ نَبِيِّكُم»[4]. أي يحكم بهما، ولا يحكم بشرع آخر كالذي بعث به إلى بني إسرائيل[5].

لكن قبل قتال المسلمين مع بني الأصفر - الروم - تكون هدنة بينهم، فيغدر الروم، ويأتوننا بثمانين راية، تحت كل راية عشرة آلاف، وفي رواية: تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً، وعندئذ تكون الملحمة بين الفريقين ويقضي المسلمون فيها على الروم.

روى أبو داود في سننه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً، قال: «ستُصالِحونَ الرُّومَ صُلْحاً آمِناً فَتَغْزونَ وهُم عَدُوًّا مِن وَرائِكُم، فَتُنْصَرونَ وتَغْنَمونَ وتَسْلَمونَ، ثُمَّ تَرجِعونَ حَتّى تَنْزِلوا بِمَرجٍ ذي تُلولٍ[6]، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ النَّصْرانِيَّةِ

(1) شرح النووي لصحيح مسلم (24/18 - 25).
(2) وتقرأ أيضا: سبوا.
(3) شرح النووي لصحيح مسلم (21/18 - 22).
(4) مختصر صحيح مسلم (2060).
(5) انظر تعليق العلامة الألباني على تحقيقه لمختصر صحيح مسلم.
(6) وهو مرج دابق قرب مدينة حلب.

الصَّليبَ فَيَقولُ: غَلَبَ الصَّليبُ. فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغدُرُ الـرُّومُ وتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ»[1].

وفي رواية صحيحة عند أحمد وأبي داود وابن ماجة وابن حبان عن ذي مخمر عن النبي ﷺ قال: «ستُصالِحون الرُّومَ صُلْحاً آمِناً، فَتَغْزونَ أَنْتُم وهُم عَدُوًّا مِنْ وَرائِكُم فَتَسْلَمونَ وتَغْنَمونَ، ثُمَّ تَنْزِلونَ بِمَرْجٍ ذي تُلول فَيَقومُ رَجُلٌ من الرُّومِ فَيَرْفَعُ الصَّليبَ ويَقولُ: غَلَبَ الصَّليبُ! فَيَقومُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ فَيَقْتُلُهُ، فَيَغْدِرُ القَوْمُ، وتَكونُ المَلاحِمُ، فَيَجتَمِعونَ لَكُم فَيَأْتُونَكُم في ثَمانينَ غايَةٍ مَعَ كُلِّ غايَةٍ عَشْرَةُ آلافٍ». وفي رواية أبي مالك الأشجعي ﷺ: «... ثُمَّ تَكونُ بَيْنَكُم وَبَيْنَ بَني الأَصْفَرِ هُدْنَةٌ، فَيَغْدِرونَ بِكُم، فَيَسيرونَ إِلَيْكُم في ثَمانينَ غايَةٍ، تَحْتَ كُلِّ غايَةٍ اثنا عَشَرَ أَلْفاً» [2].

وَيكون فُسْطاطُ المسلمين يوم الملحمة بالغوطة، غوطة دمشق، والفسطاط هو المكان التي تجتمع إليه الجيوش لتتهيّأ لِلقتال.

عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فُسْطاطَ المُسْلِمينَ يَوْمَ المَلْحَمَةِ بالغوطَةِ إلى جانبِ مَدينَةٍ يُقالُ لَها دِمَشْقُ، مِنْ خَيرِ مَدائِنِ الشَّامِ». وفي رواية قال: «فُسْطاطُ المُسْلِمينَ يَوْمَ المَلْحَمَةِ الكُبْرى بِأَرْضٍ يُقالُ لَها الغوطَةُ، فيها مَدينَةٍ يُقالُ لَها دِمَشْقُ، خَيرُ منازِلِ المُسْلِمينَ يَوْمَئِذٍ» [3].

وهناك يلتقي المسلمون من بلاد الشام والحجاز وغيرها من أقاليم الإسلام على قتال أعداء الله، لا يفرقهم أمر، بل هم على دين الله تعالى مجتمعون، حتى العصبات من بني العم من قبائل العرب من المسلمين يشاركون إخوانهم في القتال.

روى ابن ماجة في سننه بسند حسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا وَقَعَتِ المَلاحِمُ بَعَثَ اللَّهُ بَعْثاً مِنَ المَوالي، هُم أَكْرَمُ العَرَبِ فَرَساً وَأَجْوَدُهُ سِلاحاً، يُؤَيِّدُ اللّهُ بِهِمُ الدِّينَ» [4].

فنسأل الله تعالى أن يوحّد أمر هذه الأمّة وصفّها وأن يرفع عنها أمر الجاهلية

(1) صحيح أبي داود (3607).
(2) صحيح ابن ماجة (3267).
(3) صحيح أبي داود (3611).
(4) صحيح ابن ماجة (3303).

وتفريق الأعداء بين أبنائها.

ويفتتح المسلمون على إثر هذه الملحمة القسطنطينية ويدخلونها دون أن يرموا بسهم أو يقاتلوا بسلاح وذلك بدليل قوله ﷺ : **«سَمِعْتُم بمَدينَةٍ جانبٌ مِنها في البَرِّ وجانبٌ منها في البَحْرِ؟»** قالوا: نعَم يا رَسولَ اللَّهِ. قالَ: **«لا تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزوَها سَبْعونَ أَلْفاً مِنْ بَني إسْحاقَ[1]، فإذا جاؤوها نَزَلوا فَلَم يُقاتِلوا بسلاحٍ وَلَم يَرْمُوا بسَهْمٍ، قالوا: لا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جانبَيْها الَّذي في البَحْرِ، ثُمّ يَقولوا الثّانيَةَ: لا إلَهَ إلاّ اللّهُ واللّـهُ أكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جانبُها الآخَرُ، ثُمّ يَقولوا الثّالِثَةَ: لا إلَهَ إلاّ اللهُ واللّهُ أَكْبَـرُ، فَيُفْـرَجُ لَهُـم فَيَدْخُلونَهـا فَيَغنَمونَ. فَبَيْنَمـا هُم يَقْتَسمونَ المَغـانمَ إذْ جاءَهُمُ الصَّـريخُ فَقـال: إنَّ الدَّجَّـالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكونَ كُلَّ شَيءٍ ويَرْجِعونَ»** [2].

ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدَّجَّال:

روى الإمام مسلم في الصحيح عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ﷺ قال: كُنّا مَعَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةٍ، قال: فَأتى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ[3] عَليهم ثِيابُ الصُّوفِ فَوافَقوهُ عِندَ أكَمَةٍ، فَإنَّهُم لَقِيامٌ وَرَسولُ اللَّهِ ﷺ قاعِدٌ. قال: فَقالَتْ لِي نَفْسي: اِئْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُم وَبَيْنَهُ لا يَغْتالُونَهُ. قال: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَحِيٌّ مَعَهُم. فَأَتَيْتُهُم فَقُمْتُ بَيْنَهُم وبَيْنَهُ. قال: فَحَفَظْتُ مِنهُ أرْبَعَ كَلِماتٍ أعُدُّهُنَّ في يَدي. قال: **«تَغْزونَ جَزيرَةَ العَرَبِ فَيَفْتَحُها اللَّهُ عَـزَّ وجَلَّ، ثُمَّ فارِسَ فَيَفْتَحُها اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَغْزونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُها اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزونَ الـدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ»**. قال: فَقالَ نافِع: يا جابِرُ، لا نَرى الدَّجَّالَ يَخرُجُ حَتّى تُفْتَحَ الرُّومُ[4].

ومعلوم أن بلاد الروم اليوم هي أوروبا وقلبها إيطاليا، وقد بشّرنا رسولنا ﷺ أنّا سنفتح رومية، عاصمة النصرانية اليوم، بعد أن فتح المسلمون عاصمتها الأولى، القسطنطينية.

روى الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: بَينَما نَحنُ حَوْلَ رَسولِ اللَّـهِ نَكْتُـبُ إذْ سُـئِلَ رَسـولُ اللـهِ ﷺ : أيُّ المَـدينَتَيْنِ تُفْـتَحُ أوَّلاً، أقُسْـطَنْطِينِيَّةُ أوْ

(1) الرواية المحفوظة: بني إسماعيل، يعني العرب.

(2) مختصر صحيح مسلم (2014)، وانظر حديث أبي هريرة السابق ذكره في قتل عيسى عليه السلام للدجال.

(3) يعني مغرب المدينة المنورة.

(4) مختصر صحيح مسلم (2028).

رُومِيَّةٌ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ : **«مَدينَةُ هِرَقلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً»**، يَعني القسطنطينية[1].

* * *

(1) المستدرك للحاكم (508/4)، وهو مخرج في الصحيحة.